

واقع الأطفال الفلسطينيين إبان العدوان الإسرائيلي على غزة 2024-2023



في خضم العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، تتوالى من كل حذب وصوب الفصول الدامية التي يكتنفها كل أنواع الفتك والدمار، لتشمل كافة قطاعات الحياة دون استثناء، فهناك كارثة وجريمة إبادة بكل ما تحمله الكلمة من معنى يقوم بها جيش الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة ليحدث بذلك كارثة إنسانية متكاملة الأركان بحق المواطنين هناك، ومن دون رادع يستمر العدوان الإسرائيلي على غزة بصورة مهولة سريعة الفتك وشديدة الترويع، متضمناً أبشع الجرائم والانتهاكات بكافة الأسلحة جواً وبراً وبحراً، وقد تضمن هذه العدوان ارتكاب المجازر بحق الأطفال العزل، ما أدى إلى ارتقاء الآلاف منهم شهداء، وآلاف الآخرون منهم ما بين جريح ومفقود ونازح، فأهوال ما يحدث مع أطفال قطاع غزة تفوق الخيال، فمهما يتم ذكره من شهادات تشير على واقع الأطفال وظروف معيشتهم هي نقطة في بحر الإرهاب والغطرسة الاحتلالية الحاصلة، فلا يمكن الإحاطة بكل تلك التفاصيل المرعبة، والجروح الموجهة في متواليات الدم النازف كل يوم وساعة ودقيقة من دون انقطاع، وندوبها المحفورة في أعماق الروح بتباريح الألم، والوجع المقيم من فداحة الإبادة المتوالية بلا هوادة وفضاعتها، بعد أن قطعت كل أسباب الحياة عن أبناء شعبنا، أطفالاً ونساءً وشيباً وشباناً.

ووفقاً لبيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، فقد بلغ عدد الشهداء الأطفال إثر العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة منذ 7/10/2023 ولغاية 4/4/2024 الى أكثر من 14000 طفل شهيد وأكثر من 6168 طفل جريح، وهذه الاحصائيات هي تشير الى حجم الإبادة والكارثة الحاصلة بحق الأطفال في قطاع غزة، هذا الرقم المروع دفع وكالة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف" لوصف ما يحدث بالصدمة الحقيقية. فقد أكدت المديرية الإقليمية لليونيسيف في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إن "قتل وتشويه الأطفال واختطافهم، والهجمات على المستشفيات والمدارس، ومنع وصول المساعدات الإنسانية، تشكل انتهاكات جسيمة لحقوق الأطفال". وأعربت "عن أن الوضع في قطاع غزة يشكل وصمة عار متزايدة على ضميرنا الجماعي، فإن معدل الوفيات والإصابات بين الأطفال صادمة".

وفي هذا السياق، أكدت رئيسة لجنة حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة "اليونيسيف" آن سكيلتون، إن إسرائيل تنتهك حقوق الأطفال في قطاع غزة بشكل خطير، وعلى مستوى نادر لم يُشاهد مثله في التاريخ الحديث. وأكدت بأنه لا يوجد طفل في غزة خالٍ من الخوف والألم والجوع، ومنهم محظوظين إذا تمكنوا من البقاء على قيد الحياة، في ظل هذه الحرب، مشيرة إلى أن الأطفال في القطاع فقدوا طفولتهم، وأصيبوا بصدمة نفسية، وسيعيشون للأبد مع تأثيرها على صحتهم العقلية. ولفنت الى "أن التقديرات تشير لدفن آلاف الأطفال تحت الأنقاض، ما يرفع العدد الإجمالي للضحايا بشكل كبير، عدا عن الأطفال الذين فقدوا أطرافهم، وأهلهم، وأصدقائهم"، وأكدت آن سكيلتون "بضرورة تقديم الدعم النفسي والاجتماعي الكبيرين للأطفال والأسر، للتخفيف من آثار الحرب المؤلمة وطويلة الأمد". وفي ذات السياق أكدت بأنه "يفقد أكثر من 10 أطفال في المتوسط إحدى ساقيهما، أو كليهما يومياً في غزة منذ بداية الحرب، وفق منظمة إنقاذ الطفولة، كما تشير تقديرات منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف" إلى أن ما لا يقل عن 17,000 طفل أصبحوا منفصلين عن والديهم، وأصبح كل الأطفال البالغ عددهم 1.2 مليون بحاجة إلى المساعدة للصحة النفسية، والدعم النفسي، والاجتماعي، و للاهتمام والعمل من جانب المجتمع الدولي". وأعربت رئيسة لجنة حقوق الأطفال، عن قلقها البالغ إزاء حالة الأطفال الذين يعيشون في الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، والذين يواجهون الاعتقالات التعسفية، وأعمال القتل والعنف التي ترتكبها قوات الاحتلال.

وتطرقت الى حكم محكمة العدل الدولية في 26 يناير/ كانون الثاني من عام 2024، في القضية التي رفعتها جنوب أفريقيا حول ارتكاب إسرائيل إبادة جماعية في غزة، والذي أمرت المحكمة إسرائيل بـ"اتخاذ كافة الإجراءات لمنع ارتكاب كافة الجرائم والأفعال التي تدخل في نطاق المادة الثانية من الاتفاقية"، بما في ذلك قتل أعضاء المجموعة، ومنع ومعاينة التحريض المباشر والعلني على ارتكاب الجرائم الإبادة الجماعية، والتمكين من تقديم المساعدة الإنسانية". ودعت رئيسة اللجنة، إسرائيل إلى الامتثال الفوري لقرار المحكمة، ودعوة جميع الدول لاتخاذ الاجراءات اللازمة لإنهاء هذه الحرب.

فيما وأكدت الأمم المتحدة بأنه يعاني طفل واحد من بين كل عشرة أطفال في غزة دون سن الخامسة من سوء التغذية الحاد، بسبب العدوان الإسرائيلي، وهذا وفقاً لبيانات أولية من الأمم المتحدة من خلال قياسات الذراع التي تظهر مستويات الهزال لدى الأطفال. ووفقاً لمذكرة صادرة عن مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، أظهرت قياسات محيط أذرع آلاف الأطفال الصغار والرضع أن 9.6 بالمائة منهم يعانون من سوء التغذية الحاد، وهو ما يمثل ارتفاعاً بنحو 12 مثلاً عن مستويات ما قبل العدوان. وفي شمال غزة، بلغ المعدل 16.2 بالمائة أو واحداً من كل ستة أطفال. وأكدت مؤسسة أكشن إيد الخيرية إن بعض الناس يلجئون إلى أكل العشب. وأضافت أن "الجميع في غزة يعانون الآن من الجوع ولا يحصل الناس إلا على لتر ونصف أو لترين من المياه غير الصالحة للشرب يوميا لتلبية جميع احتياجاتهم".

وفي نفس السياق، قالت منظمة الأمم المتحدة للطفولة "يونيسيف"، إن تقديراتها تشير إلى أن 17 ألف طفل على الأقل في قطاع غزة، باتوا غير مصحوبين، أو انفصلوا عن عائلاتهم، منذ بدء العدوان الإسرائيلي. وقال المتحدث باسم المنظمة في الأراضي الفلسطينية جوناثان كريكس، خلال مؤتمر صحفي في جنيف، إن هذا الرقم يمثل 1% من إجمالي عدد النازحين البالغ 1,7 مليون شخص. وتحدث عن صعوبة تحديد هوية الأطفال، بسبب نقلهم في بعض الأحيان إلى المستشفيات إما مصابين أو في حالة صدمة و"ببساطة لا يمكنهم حتى قول أسمائهم". وأكد كريكس أنه في حالات النزاعات، يقوم الأقارب برعاية الأطفال الذين يجدون أنفسهم دون ذويهم، إلا أن "السكان في غزة حالياً يفتقرون إلى المواد الغذائية والمياه والمأوى وتواجه هذه العائلات صعوبة في تلبية حاجاتها أطفالها وأفرادها". وتشير "اليونيسيف" إلى أن "كل أطفال غزة تقريباً البالغ عددهم مليوناً يحتاجون إلى مساعدة على صعيد الصحة النفسية، في مقابل نصف مليون قبل بدء الحرب الأخيرة في السابع من تشرين الأول/أكتوبر". وأوضح كريكس أن الأطفال "تظهر عليهم أعراض مثل مستويات عالية من القلق المستمر، وفقدان الشهية، ولا يستطيعون النوم، ويعانون من نوبات انفعالية أو ذعر في كل مرة يسمعون فيها قصفاً". ودعا إلى وقف لإطلاق النار، لتتمكن "يونيسيف" من إجراء إحصاء مناسب للأطفال غير المصحوبين أو المنفصلين عن ذويهم، وتحديد أقاربهم، وتقديم الدعم في مجال الصحة النفسية. كما أكد بأنه يشعر بالغضب لأن الأطفال الذين يتعافون من عمليات بتر في مستشفيات غزة يُقتلون فيها.

وأكدت اليونيسيف في بيان لها بأنه لا يحصل الأطفال في قطاع غزة على 90 في المائة من استهلاكهم الطبيعي للمياه، كما لا يحصل الأطفال النازحون في جنوب قطاع غزة إلا على 1.5 إلى 2 لتر من الماء يومياً، وهو أقل بكثير من المتطلبات الموصى بها للبقاء على قيد الحياة، وفقاً لتقديرات اليونيسيف، ووفقاً لمعايير الإغاثة الإنسانية، يبلغ الحد الأدنى لكمية المياه اللازمة في حالات الطوارئ 15 لتراً، بما في ذلك مياه الشرب والغسيل والطهي. الحد الأدنى المقدر للبقاء على قيد الحياة فقط هو 3 لتر في اليوم.

ويكون تأثير ذلك على الأطفال مأساوياً بشكل خاص لأن الأطفال هم أيضاً أكثر عرضة للجفاف والإسهال والأمراض وسوء التغذية، وكلها يمكن أن تتفاقم لتشكل تهديداً لبقائهم على قيد الحياة. وتزداد المخاوف بشأن الأمراض المنقولة بالمياه مثل الكوليرا والإسهال المزمن بشكل خاص نظراً لنقص المياه الصالحة للشرب، خاصة بعد هطول الأمطار، وقد سجل المسؤولون بالفعل حوالي 20 ضعف المتوسط الشهري لحالات الإسهال المبلغ عنها بين الأطفال دون سن الخامسة، بالإضافة إلى زيادات في حالات الإصابة بالجرب والقمل وجدري الماء والطفح الجلدي وأكثر من 160 ألف حالة من التهابات الجهاز التنفسي الحادة. وتؤكد اليونيسيف بان الحصول على كميات كافية من المياه النظيفة هو مسألة حياة أو موت، والأطفال في غزة بالكاد لديهم قطرة واحدة للشرب، "وأكدت كاترين راسل، المديرية التنفيذية لليونيسيف بأنه "يضطر الأطفال وأسرهم إلى استخدام المياه من مصادر غير آمنة شديدة الملوحة أو التلوث. بدون مياه صالحة للشرب، سيموت عدد أكبر من الأطفال بسبب الحرمان والمرض في الأيام المقبلة".

فيما وشددت اليونيسيف في العديد من البيانات والمؤتمرات الصحفية على أن الأطفال في قطاع غزة يواجهون تهديداً ثلاثياً مميتاً، مع ارتفاع حالات الإصابة بالأمراض، وانخفاض التغذية، ومواصلة الحرب دون توقف. فقد قضى آلاف الأطفال بالفعل بسبب العنف، في حين تستمر الظروف المعيشية للأطفال في التدهور السريع، مع تزايد حالات الإسهال وارتفاع الفقر الغذائي بين الأطفال، مما يزيد من خطر تصاعد وفيات الأطفال. وأكدت اليونيسيف بان الأطفال في غزة عالقون في كابوس يزداد سوءاً مع مرور كل يوم، وقالت كاترين راسل، المديرية التنفيذية لليونيسيف. "لا يزال الأطفال والعائلات في قطاع

غزة يتعرضون للقتل والصلابة في القتال، كما أن حياتهم معرضة للخطر المتزايد بسبب الأمراض التي يمكن الوقاية منها ونقص الغذاء والماء. يجب حماية جميع الأطفال والمدنيين من العنف وتمكينهم من الوصول إلى الخدمات والإمدادات الأساسية".

فيما ارتفعت حالات الإسهال لدى الأطفال دون سن الخامسة من 48 ألفاً إلى 71 ألفاً خلال أسبوع واحد فقط بدءاً من 17 ديسمبر/كانون الأول عام 2023، أي ما يعادل 3,200 حالة إسهال جديدة يومياً. وتعتبر الزيادة الكبيرة في الحالات في مثل هذا الإطار الزمني القصير مؤشراً قوياً على أن صحة الأطفال في قطاع غزة تتدهور بسرعة. قبل تصاعد الأعمال القتالية، تم تسجيل ما متوسطه 2,000 حالة إسهال شهرياً بين الأطفال دون سن الخامسة. ويمثل هذا الصعود الأخير زيادة صادمة تبلغ حوالي 2000 في المائة.

وقد وجدت اليونيسف أن عدداً متزايداً من الأطفال لا يحصلون على احتياجاتهم الغذائية الأساسية، حيث يستهلك حوالي 90 في المائة من الأطفال دون سن الثانية مجموعتين غذائيتين أو أقل، وفقاً لمسح أجرته اليونيسف في 26 ديسمبر/كانون الأول، وهذا ارتفاع من نسبة 80 في المائة من الأطفال مقارنة بالمسح نفسه الذي أجري قبل أسبوعين. وقالت معظم الأسر إن أطفالها يحصلون فقط على الحبوب - بما في ذلك الخبز - أو الحليب، وهو ما يلبّي تعريف "الفقر الغذائي الشديد". كما أن التنوع الغذائي للنساء الحوامل والمرضعات معرض للخطر بشدة: 25 في المائة استهلكن نوعاً واحداً فقط من الطعام في اليوم السابق للمسح، وحوالي 65 في المائة استهلكن نوعين فقط. ويثير الوضع المتدهور مخاوف بشأن سوء التغذية الحاد والوفيات بشكل يتجاوز عتبات المجاعة. وتشعر اليونيسف بالقلق بشكل خاص بشأن تغذية أكثر من 155 ألف امرأة حامل وأم مرضعة، فضلاً عن أكثر من 135 ألف طفل دون سن الثانية، نظراً لاحتياجاتهم الغذائية الخاصة وضعفهم. فعندما يُترك سوء التغذية والأمراض دون علاج، فإنهما يخلقان حلقة مميّنة بكل تأكيد.

وفي سياق آخر، حذر مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية "شمس" من التبعات والمخاطر النفسية المستقبلية على الأطفال في قطاع غزة، نتيجة العدوان الإسرائيلي عليها، وأوضح المركز أن العدوان ينعكس على الأطفال بآثار وصددمات نفسية جسيمة على صحتهم النفسية والإدراكية والسلوكية والاجتماعية، سواء أكان ذلك في الوقت الحالي أم على المدى المتوسط أو البعيد. وأشار إلى أن تلك الصدمات والآثار النفسية على الأطفال تتمثل في عدد من الأعراض أهمها: التوتر والقلق الشديدين، والخوف من الموت أو الإصابة أو فقدان أفراد العائلة، ومشاكل في النوم والكوابيس والأحلام المزعجة والمخيفة، بسبب الذكريات والمشاهد المؤلمة التي يتعرض لها الأطفال، والتبول اللاإرادي، والحزن الشديد، وحالات الاكتئاب، والغضب الشديد، وسرعة الانفعال، وهذا ناتج عن استخدام الاحتلال للقوة المفرطة، ونتاج القصف العشوائي والإعدامات وما ينتج عنها من مشاهد تبقى عالقة في الأذهان. وحذر المركز من تبعات وآثار الصدمات النفسية على الأطفال في المستقبل، في ظل تدمير المستشفيات والأقسام الخاصة بالصحة النفسية فيها، وتدمير المراكز الطبية والمؤسسات المتخصصة في مجال الصحة النفسية في قطاع غزة، إضافة إلى استهداف الجامعات والمختصين في العلاج النفسي والاجتماعي، وتوقف الجامعات عن التعليم، واستشهاد عدد من المختصين من الأساتذة والمعالجين في مجال الصحة النفسية، ما يفاقم تلك المشكلة أكثر فأكثر، ويجعل كل المصابين بالصددمات النفسية من الأطفال دون علاج، بسبب عدم توفر المؤسسات المختصة وعدم توفر الكادر الطبي أيضاً، إلى جانب عدم توفر الأدوية والمستلزمات الطبية اللازمة، بسبب العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.

كما أكدت لجنة حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة أن الحرب على قطاع غزة أودت بحياة الكثير من الأطفال بوحشية غير مسبوقة. ويُنيت اللجنة في بيان أصدرته في ذكرى يوم الطفل العالمي، بأن اللجنة أن الجمعية العامة للأمم المتحدة اعتمدت إعلان حقوق الطفل عام 1959 واتفاقية حقوق الطفل في 20

نوفمبر/تشرين الثاني عام 1989، "لكن أصبح اليوم هو يوم حداد للأطفال، إذ مات العديد من الأطفال مؤخراً في النزاعات المسلحة، وقُتل أكثر من 4600 طفل في غزة خلال 5 أسابيع فقط، وشهدت هذه الحرب مقتل المزيد من الأطفال في فترة زمنية أقصر وبوحشية لم نشهدها في السنوات الأخيرة."

ومما لا شك فيه، يُعتبر المساس بالأطفال وتعريضهم للخطر من الأمور التي تتنافى كلياً مع كل القوانين والأعراف الدولية، وهي جرائم حرب مكتملة الأركان، وخروقات وانتهاكات صارخة للقانون الدولي الإنساني برُمته ولا سيما اتفاقية جنيف الرابعة (1949)، والبروتوكولين الأول والثاني لاتفاقيات جنيف (1977)، واتفاقية لاهاي (1954)، وإعلان حقوق الطفل عام (1959)، واتفاقية حقوق الطفل عام (1989)

فالقانون الدولي الإنساني والمعاهدات المناسبة المتعلقة بحقوق الطفل تمنح حماية خاصة للأطفال الذين يواجهون جملة من المخاطر في ظل وجود النزاعات المسلحة، ويحظى هؤلاء بالحماية العامة التي يتمتع بها المدنيون غير المقاتلين، إلا أن احتياجاتهم الخاصة للمساعدة الطبية والغذاء والمأوى والملبس معترف بها في اتفاقيات جنيف وبروتوكوليهما لعام 1977. ويجب التعرف على الأطفال الذين تيّموا أو انفصلوا عن عائلاتهم وحمايتهم بالإضافة إلى توفير المرافق الخاصة التي تضمن سلامتهم البدنية. كما يجب تلبية احتياجاتهم في مجال التعليم. ومن الضروري في الوقت ذاته، اتخاذ التدابير الملائمة لتسهيل لمّ شملهم مع عائلاتهم في ظل حالات النزوح. فيجب معاملة الأطفال المحتجزين بسبب نزاعات مسلحة معاملة إنسانية، وينبغي عدم تفرقتهم عن أفراد أسرهم.

ويهدف القانون الدولي الإنساني برُمته إلى الحد من أثر الحرب على الأطفال. ومن المؤسف أن تكون طبيعة نزاعات اليوم نفسها تعني ضرورة بذل المزيد من الجهود الحثيثة في الميدان من أجل إنقاذ الأطفال من براثن الحرب ومساعدتهم على بدء حياة جديدة بعد انتهاء النزاع.

وبشكل فظ وعلمي تضرب إسرائيل بكل القرارات الدولية بعرض الحائط، وتخرق القانون الدولي دون أن يرف لها رمش، وتنتهك القرارات والمواثيق الدولية والأممية بكل عنجھية وغطرسة وفجاجة. ولعل ما تقوم به قوات الاحتلال الإسرائيلي في غزة تجاه الأطفال من قتل وقصف وحرمان من كل مقومات الحياة والترويع والتنكيل بهم بصورة فظيعة، هي أفعال تعتبر بمثابة حقائق دامغة ووصمة عار تُعبر عن مدى ديمومة إسرئيلفي التنكر لكل القوانين والاحكام والقرارات الدولية بكل عنجھية احتلالية ممكنة وغطرسة، وهذه حقيقة ماثلة لمن يريد أن يرى.